

مختصر ابن كثير

125 - وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود .

عن ابن عباس { وإذ جعلنا البيت مثابة للناس } قال : يثوبون إليه ثم يرجعون . وحدث عبدة بن أبي لبابة قال : لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطرا قال الشاعر :

جعل البيت مثابا لهم ... ليس منه الدهر يقضون الوطر .

وقال سعيد بن جبير في الرواية الأخرى وعكرمة وقتادة { مثابة للناس } : أي مجمعا { أمنا } أي أمنا للناس وقد كانوا في الجاهلية يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون لا يسبون . ومضمون هذه الآية أن الله تعالى يذكر شرف البيت وما جعله موصوفا به شرعا وقدرنا من كونه مثابة للناس أي جعله محلا تشناق إليه الأرواح وتحن إليه ولا تقضي منه وطرا ولو ترددت إليه كل عام استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام في قوله : فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم { إلى أن قال : { ربنا وتقبل دعائي } ويصفه تعالى بأنه جعله أمنا من دخله آمن ولو كان قد فعل ما فعل ثم دخله كان آمنا . فقد كان الرجل يلقي قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يعرض له . وما هذا الشرف إلا لشرف بانيه أولا وهو خليل الرحمن كما قال تعالى : { وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا } .

وقال تعالى : { إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ... فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا } وفي هذه الآية الكريمة نبه على مقام إبراهيم مع الأمر بالصلاة عنده فقال : { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } وقد اختلف المفسرون في المراد بالمقام ما هو ؟ فقال مجاهد عن ابن عباس : مقام إبراهيم الحرم كله وقيل : مقام إبراهيم الحج كله (منى ورمي الجمار والطواف بين الصفا والمروة) ذكره عطاء عن ابن عباس (هما) وقال سفيان الثوري عن سعيد بن جبير : { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } قال : الحجر مقام إبراهيم نبي الله قد جعله الله رحمة فكان يقوم عليه ويناوله إسماعيل الحجارة وقال السدي : المقام الحجر الذي وضعت زوجته إسماعيل تحت قدم إبراهيم حتى غسلت رأسه . عن جعفر بن محمد عن أبيه : سمع جابرا يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما طاف النبي صلى الله عليه وسلم قال له عمر : هذا مقام أبينا ؟ قال : " نعم " قال : أفلا نتخذ مصلى ؟ فأنزل الله D : { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } وقال البخاري : باب قوله { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } مثابة يثوبون : يرجعون . قال عمر بن الخطاب :

انتهى بناء الكعبة فيه وإنما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هـ B أحد الأئمة المهديين والخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباعهم وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم " اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر " (أخرجه الترمذي عن حذيفة بن اليمان) وهو الذي نزل القرآن يوافقه في الصلاة عنده ولهذا لم ينكر ذلك أحد من الصحابة هـ B هم أجمعين .

عن عائشة هـ B أن المقام كان زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان أبي بكر هـ B ملتصقا بالبيت ثم أخره عمر بن الخطاب هـ B (رواه البيهقي قال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح) وعن مجاهد قال : قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله لو صلينا خلف المقام فأنزل { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } فكام ؟ ؟ المقام عند البيت فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضعه هذا (رواه ابن مردويه عن مجاهد . قال ابن كثير : هذا مرسل عن مجاهد وهو مخالف لرواية عبد الرزاق عنه) وهو مخالف لما تقدم أن أول من أخر المقام إلى موضعه الآن عمر بن الخطاب هـ B وهذا أصح من طريق ابن مردويه مع اعتضاد هذا بما تقدم والله أعلم